

A. U. B. LIBRARY

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY



# في الادب الاندلسي

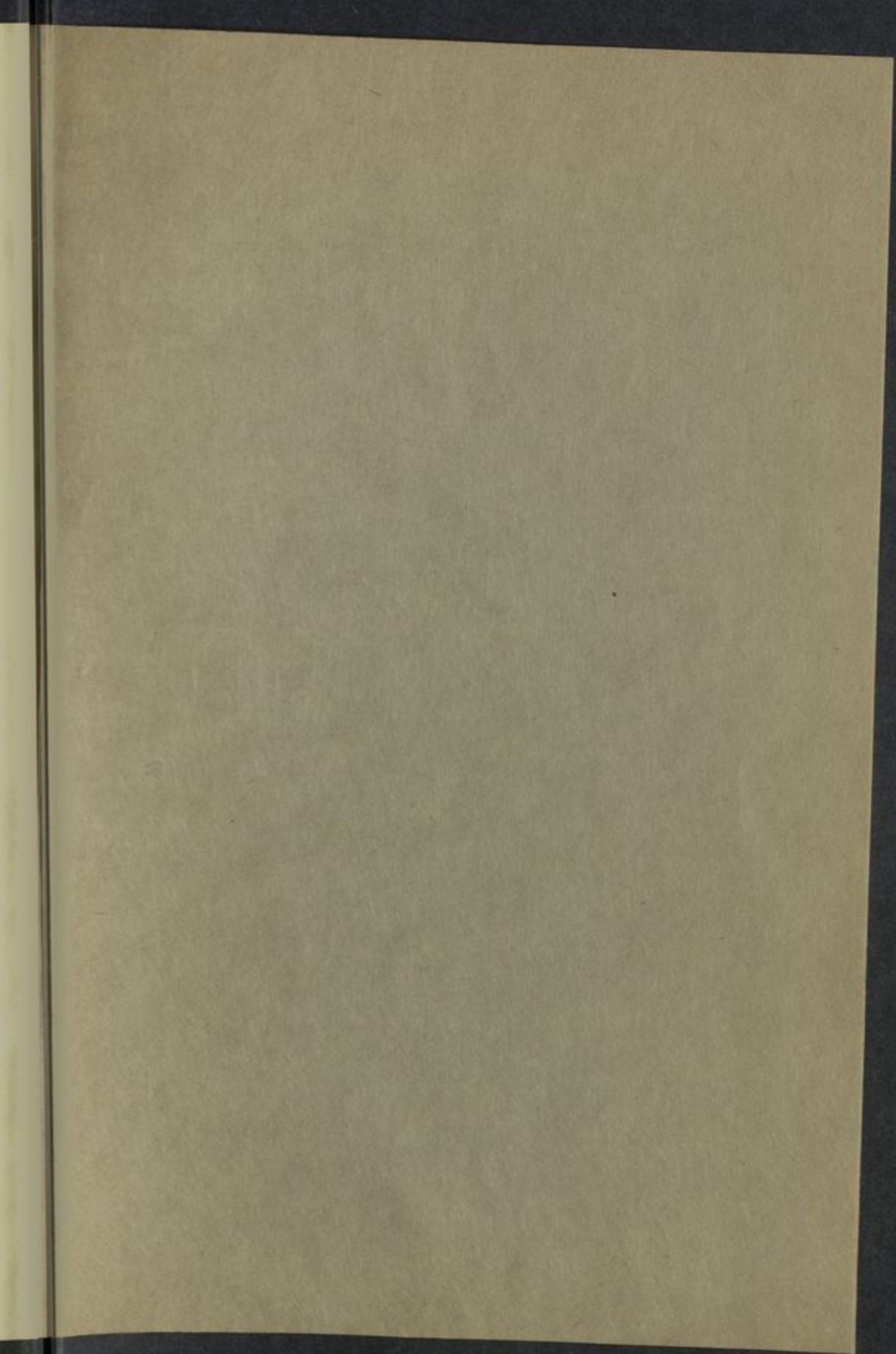
بقلم

الدكتور جبرائيل جبور

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية



نشر في مجلة الابحاث ، جامعة بيروت الاميركية ، سنة ١٩٤٩



الى السيدة الدكتورة مرغريت زيادة مع تحياتي واحترامي  
CA  
AUB  
892.709  
J11FA  
C1

المهندس  
عبدالله

ماكين

# في الادب الاندلسي

بقلم

الدكتور جبرائيل جبور

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية



نشر في مجلة الابحاث ، جامعة بيروت الاميركية ، سنة ١٩٤٩





# في الادب الاندلسي

## نوطته

### الدراسات الاندلسية

لقد ابدى المستشرقون منذ اوائل القرن الثامن عشر عناية خاصة بدراسة تاريخ الاندلس وادبها واثروها في الادب الغربي وكان من الطبيعي ان تكون اسبانيا الميدان الاول لهذه الدراسات برغم ما تعرضت له مكنتاتها وكتبها العربية من محن وتلف واهمال منذ عهد البربر حتى اوخر القرن السابع عشر . وبالفعل فان جوان اندري (Juan Andrés) اليسوعي كان اول من التفت الى الشعر الاندلسي ونبته الى اثره في شعر التروبادور (Troubadours) ثم عقبه كوندي (José Condé) فوضع كتاباً في تاريخ ملك العرب في اسبانيا نشر في مدريد سنة ١٨٢٠-١٨٢١ ثم ترجم من الاسبانية الى الفرنسية والى الانكليزية وكان اساساً لكثير من الدراسات المتأخرة . ولم تخل البلدان الاخرى في اوربة من باحثين سبقوا كوندي او عاصروه او تحلفوا عنه ككاردون (Denis Cardonne) بفرنسا وبورك (Thomas Bourke) بانجلترا واشباخ (Joseph Aschbach) بالمانيا وغيرهم . ثم كان جالينخوس (Pascual de Gayangos) وفون هامر برجشتال (Von Hammer - Purgstall) بعد ذلك اثر كبير في تعميم هذه الدراسات ونشرها . غير ان الفضل الاكبر فيما يظهر يعود الى المستشرق الهولندي دوزي (R. Dozy) ولعل آثاره هي اعظم ما خلفته حتى الآن مدرسة الاستشراق في الدراسات الاندلسية . ومنذ عهد دوزي في منتصف القرن التاسع عشر الى اليوم

والدراسات الاندلسية تتسع وتنمو والاعتناء بها يشتد ويزداد بحيث اصبح من العسير الآن ان نذكر في هذه العجالة الموجزة اسما جميع من عنوا بها .

والمهم في الأمر ان الكتب العربية والغربية لتاريخ الاندلس وادبها اخذت تعم ويتداولها الناس . ومنذ نشر نفع الطيب للمقري وترجم بعضه ونشر وفيات الاعيان لابن خلكان وترجم وطبعت كتب في تاريخ الاندلس ورجالها وآدابها في الشرق والغرب ككتب ابن حزم وابن طفيل وابن حيان والضيبي وابن الفرضي والفتح ابن خاقان وابن صاعد وابن بشكوال وابن ابار ولسان الدين الخطيب وغيرهم اخذت الدراسات الاندلسية تتفرع واخذ المستشرقون يتعمقون ببعض النواحي فيها فهذا هارتمن Hartmann مثلاً يضع كتاباً في الالمانية في فن الموشح وهذا بونس بواجس ( Pons Boigues ) يضع كتاباً عن جمهرة من المؤرخين والشعراء الاندلسيين . حتى اذا دخل القرن العشرون طلع علينا ريبورا ( Julian Ribera ) في دراسات كثيرة دار بعضها على ناحية خاصة ككتاب الموسيقى في الجزيرة العربية وأسبانيا . وكثير الالتفات الى النشر والترجمة وكان بين المستشرقين المتأخرين الدكتور نيكل ( D. R. Nykl ) فقد ترجم كتاب طوق الحمامة لابن حزم سنة ١٩٣١ الى الانكليزية وقدم له بدراسة موجزة في تاريخ الاندلس وادبها وسيرة ابن حزم ثم نشر بالاشتراك مع المرحوم ابراهيم طوقان كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني سنة ١٩٣٢ وها هو اخيراً سنة ١٩٤٦ يضع كتاباً نفساً في الشعر الاندلسي باللغة الانكليزية يضم طائفة من اجاث كان قد نشر بعضها من قبل ويعرض في آخره الى علاقة هذا الشعر بشعر التروبادور<sup>(١)</sup> كذلك وضع الدكتور محمد شفيق سنة ١٩٤٠ فهرساً لكتاب العقد في طبعاته الرئيسية المختلفة قضي في اعداده كثيراً من السنين ونشر الاب ميلشورم . انطونية سنة ١٩٣٧ القسم الثالث من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الاندلس لابن حيان . ولم يقتصر هذا التنبيه على المستشرقين بل تعداه الى ابناء اللغة العربية انفسهم وقد وضع مؤلف هذه الرسالة كتاباً في ابن عبد ربه الاندلسي وعقدته سنة ١٩٣٤ واخذت لجنة الترجمة والتأليف والنشر بنشر طبعة جديدة للعقد ظهر منها حتى الآن اربع مجلدات واخذت لجنة من رجال الجامعة المصرية بنشر كتاب الذخيرة في محاسن اهل

(١) انظر كتابه في الشعر الاندلسي : Hispano-Arabic Poetry Baltimore 1946

ومقدمته المعتازة التي قلنا عنها بعض هذه المعلومات في اعلاه

الجزيرة لابن بسام وقد ظهر منه ثلاث مجلدات وقام الاستاذ الكيلاني بترجمة كتاب لدوزي في ملوك الطوائف والنف كتاباً في بعض نواحي الادب الاندلسي . ومع ان كثيراً من الاصول العربية في تاريخ الاندلس وآدابها قد نشر فان الحاجة لا تزال ماسة الى نشر ما تبقى وفي كثير من الاحيان الى اعادة نشر ما نشر مما لم تراجع فيه الطريقة العلمية الحديثة في النشر . وما لم ينشر كل ما كتب عن الاندلس في اللغات المختلفة فان ما نعرفه عنها يظل ناقصاً . وفي نظري ان الادب الاندلسي حتى الآن لم ينل من العرب انفسهم ما يستحقه من العناية والتقدير .

### الناحية التاريخية

في اليوم الذي عبر به طارق ابن زياد المضيق الفاصل بين افريقية واوربة بدأ تاريخ الاندلس العربي وقد آثرت وصف هذا التاريخ بالعربي لان الدولة التي كانت تقوم بهذا الفتح عربية ولأن الادب الذي اريد التحدث عنه عربي . ونستطيع تسهيلاً للبحث ان نقسم هذا التاريخ الذي يزيدان ندرس الادب فيه الى خمسة ادوار :

اولها الدور الأموي ، ثم دور ملوك الطوائف ، ثم دور المرابطين ، ثم دور الموحدين ، ثم دور بني الاحمر والجلالة .

### الدور الأموي (٧١١-١٠٣١ م.)

بدأ الدور الأموي عام الفتح عام سبعمئة واحد عشر ، وكان رجال الحملة مع طارق لا يزيدون عن سبعة الاف بينهم نحو ثلاثمائة عربي . ثم ما كادوا يشاهدون استعداد العدو وكثرة عدده حتى شعروا بقلتهم فطلبوا النجدة فارسل اليهم موسى ابن نصير مدداً من خمسة آلاف . واستطاع طارق بهذا العدد القليل ان يقابل لذريق ملك القوط وجيشه الكثير بوادي بكة ( Guadalete ) وينتصر عليه ثم تابع زحفه متوغلاً في الجزيرة الاندلسية . وهنا تصل اخبار النصر الى موسى فيأمره بالتوقف ويسير هو الآخر بنفسه على رأس حملة اخرى ويجوز الى العدو

الاندلسية من معبر آخر وبأخذ في الفتح ثم يلتقي الاثنان ويندفعان في الفتح حتى قلب الجزيرة .

وتتابعت الحوادث واستطاعت جيوش الفاتحين ان تستولي في مدى سنوات سبع على اكثر بقاع الاندلس ثم عبرت بعد ذلك الثنايا ( Pyrennes ) الى فرنسا بقيادة آخرين واحتلت بوردو ( Bordeaux ) ثم انجهدت الى قلب البلاد بحيث كادت تصل باريس بعد عبورها المضيق بعشرين سنة . وهنا يقف سبيل الفتح وتخف حدته ويتراجع الفاتحون وكان ذلك في ساحة بواتيه ( Poitiers ) التي سماها العرب بلاط الشهداء . واقتصر الاحتلال فيما بعد على جنوبي فرنسا ثم تقلص الى جنوبي الثنايا . وظل الامر كذلك عشرين سنة اخرى تميزت بانشقاق بين الفاتحين واختلاف في كلمتهم وتمسك منهم بالعصبيات الجنسية والقبلية وتناحر بين زعمائهم على الرئاسة . وتعاقب على الاندلس في مدى هذه الاربعين سنة نحو عشرين وال . وكان في هذه الاثناء ان زال الوهن من الدولة الاموية في المشرق فثار عليها بنو العباس وانتزعوا السلطة من الامويين وبذل السفاح العباسي فيهم السيف فلم ينج الا القليل ، وكان من الناجين شاب اسمه عبد الرحمن فرّ الى مصر ومنها الى المغرب من غير عصابة ولا انصار سوى خادمه بدر ومن المغرب نهّد الى الاندلس بعد ان مهّد له السبيل فاستطاع ان يغلب عاملها على امره ويستخلص الملك لنفسه ، ثم تمكن بمساعدة واحد من ابناء عمومته ، اسمه عبد الملك - وكان قد فرّ بعده من كيد العباسيين - ان يعلن استقلال الاندلس عن سلطة الولاة في افريقية والحلفاء في المشرق ويقطع الدعوة لآل العباس من منابر الاندلس . ولقد ابدى عبد الرحمن الداخل هذا من الجرأة والحزم ومضاء العزيمة ما جعل ابا جعفر المنصور يعترف له بالبأس والاقدام ويلقبه بصقر قریش .

ومر على الاندلس نحو مئتي سنة يتعاقب عليها الامراء من سلالة هذا البيت الاموي حتى ظهر عبد الرحمن الثالث . ولم تخل هذه الحقبة الطويلة من ثورات وقتل بين العرب انفسهم وبينهم وبين البربر . ولم تخل من غارات كان يشنها ملوك الاسبان كلما شعروا بضعف السلطان وكانت الفتن قد اشتدت قبل امارة عبد الرحمن فلما قلد زمام الامور نهّد الى الميادين يخدم الفتن ويخضع العصاة ويجمع كلمة المسلمين ثم قام بغزوات موفقة لقهّر المناوئين من ملوك الاسبان فدان اكثرهم له

ووفدوا الى بلاطه خاضعين وذاع صيته وانتشرت سطوته فوفد الى حضرته السفراء من القسطنطينية والمانيا واطاليا وفرنسا .  
وهنا يبدأ الانحلال في جسم الخلافة العباسية في المشرق ويشد الوهن ويصبح الخليفة العويبة في ايدي الجند من مواليه فيعلن عبد الرحمن انه الخليفة في الاندلس ويلقب نفسه الناصر لدين الله .

### عبد الرحمن الناصر

وكان الناصر اول خليفة في الاندلس واعظم ملوكها على الاطلاق بلغت الاندلس في زمنه اوج مجدها وضارعت قرطبة عاصمة ملكه بغداد في اعظم ايامها فكان فيها فيما يروون نصف مليون من السكان في مئة وثلاثة عشر الف بيت وثلثة آلاف جامع وثلثمائة حمام وثمان وعشرون ضاحية . بحيث لم يصبح لها في كل المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة المحال وفسحة الاسواق وكثرة العمارات والحمامات والفنادق .

### مآثر الناصر

وتمت على الناصر جاريته الزهراء ان يبني لها قصراً فبنى قصر الزهراء على اسمها وجعله على ثمانية اميال من العاصمة وقضى في اعداده خمساً وعشرين سنة واستدعى للعمل فيه مهرة البنائين من بغداد والقسطنطينية ففاق على قصر الرصافة الذي ورثه عن آبائه ثم انشأ الجنائن والبساتين في قرطبة وضواحيها ونسقتها وزينها وبنى بركاً وبحيرات اجرى فيها المياه العذبة المجلوبة من الجبال باقنية الرصاص فاصبحت العاصمة بزهراتها ورفاقها جنة للناظرين . وزاد دخل الخزينة في زمنه فبلغ نحو ستة ملايين دينار في العام فكان ينفق ثلثه في النفقات العامة وثلثه على الابنية التي يستحدثها ويبقي ثلثه احتياطاً . وانشأ اسطولاً ثبت له السطوة على العدوتين وجيشاً ضمن له السيطرة على اكثر الاندلس وعقد المحالفات مع من والاه من ملوك اسبانيا وغيرها واسس المدارس المجانية وشجع العلماء والادباء بحيث حق لقرطبة ان تدعى مدينة العلم والادب كما هي مدينة الفن والجمال .

ومات عبد الرحمن بعد ملك دام نحو خمسين سنة مكن فيها لبيته السلطة وآمن فيها للعاصمة وللجزيرة حياة الترف والرخاء وهباً لابنه الحكم بملكة غنية عظيمة الاتساع<sup>(١)</sup>.

### الحكم ابن عبد الرحمن

وورث الحكم ملكاً لم يرث ربما مثله وارث وتمت البيعة له بمجمل لا اظن التاريخ عرف نظيره حتى زمنه ويكاد وصف المقرري لحفلات المبايعات والعراسيم التي اجريت عند استقبال الملوك بقصره يفوق جميع ما نقل عن حفلات التتويج للملوك المعاصرين<sup>(٢)</sup>. وكان الحكم ميالاً الى العلوم والآداب كما سنرى فانصرف اليها واصبح مأمون الاندلس وكان عصره عصر الاندلسي الذهبي من حيث النهضة الادبية.

### الحاجب المنصور

وكان في خاصة الحكم شاب نبيه اسمه محمد ابن ابي عامر اسند اليه الحكم امر الاشراف على ولده فتمكن بدهائه من كسب عطف الملكة صبح امرأة الحكم الاسبانية الاصل واصبح قائداً للجيش ثم خازناً لبيت المال ووزيراً وحاجباً. واستطاع بعد موت الحكم ان يتخلص بدهاء من منافسيه واحداً واحداً، فكان يظهر هذا على ذلك حتى يقضي عليه ثم يؤلب آخر على هذا حتى يفتك به وتتكر آخر الامر الى صبح نفسها والى ابناءها واستلم زمام الامور بيده مستقلاً به واصبح ملكاً على الاندلس ولقب نفسه بالمنصور وقام بنحو عشرين غزوة استرد بها ما كان فقده الحكم في اواخر عهده حين انصرف بكلية الى الآداب والعلوم واعاد الى الملك سطوته ومجده ويلقبه المستشرقون ببسبارك القرن العاشر لدهائه وحكمته، ومجوته وموت ابنه وعودة السلطة الى ابناء البيت المرواني طراً على الدولة الفساد وسادت الفوضى مرة ثانية واضطرب الامن وانتهى الدور الاول في الثلث الاول من القرن الحادي عشر بعد ثلاثمائة سنة ونيف من عام الفتح.

(١) راجع وصف قرطبة ومجد الناصر في كتاب فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمعري

— دار الطباعة اميرية، مصر ١٢٧٩ الجزء الاول صفحة ١١٧ و ١٦٦ — ١٧٨

(٢) المعري ١ : ١٨٢ — ١٨٦

## ملوك الطوائف (١٠٣١-١٠٩١ م.)

وتجزأت المملكة الى امارات يحكمها ملوك وامراء مستقلون عرفوا بملوك الطوائف كان منهم ملوك عرب وآخرون بربر وآخرون اسبان مستعربون واصبحت المدن المهمة عواصم لهذه الدويلات الصغيرة ، فملك في قرطبة وآخر في اشبيلية وثالث في بلنسية ورابع في غرناطة او قرمونة او طليطلة وهلم جرا . وعرف من هذه الاسر بنو جوهر وبنو الافطس وبنو هود وبنو برزال وبنو عباد وآخرون وتنافس هؤلاء الملوك فيما بينهم في ابتناء الحصون والقلاع والقصور والمنى<sup>(١)</sup> وفي مجالس الادب والطرب وتشجيع الشعراء وكان من هؤلاء الملوك من خطب للخلفاء المرابطين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للعباسيين على بعد الدار ومنهم من تلقب بنعوت الخلفاء كبنى العباد فكان منهم المعتضد والمعتد ولاجل توثيهم على النعوت العباسية قال ابو بكر ابن عمار الاندلسي يهجوهم .

تمايزهدي في ارض اندلس  
القاب بملكة في غير موضعها  
اسماء معتضد فيها ومعتد  
كالفر يحكي انتفاخا صولة الاسد<sup>(٢)</sup>

غير انه انصافاً لهؤلاء الملوك يجب ان نذكر انهم رعو احركة الادب كما فعل المحدثون في حلب وكان من الملوك انفسهم ادباء وشعراء وكانت اكثر عواصمهم اسواقاً للادب وكان اكثرهم يدعو الى بلاطه العلماء والشعراء يجاضهم ويجالسهم ويجب ان يشهر عنه ذلك . ودام امر الطوائف نحو ستين سنة استطاع في اواخرها ملوك الاسبان من جمع كلمتهم فهاجموا هذه الدويلات واحدة واحدة وقضوا عليها حتى بلغوا اشبيلية عاصمة بني العباد فضايقوا المعتد حتى اضطر الى ان يطلب النجدة من امير المرابطين في العدو الافريقية .

## دولة المرابطين (١٠٩١-١١٤٧)

فاتى ابن تاشفين زعيم المرابطين الى نجدة المعتد في كتاب بربرية من قبائل

(١) مفردها منية وكانت تطلق هذه اللفظة على ما يعرف اليوم بالفلا ( Villa ) عند الافرنج

وهو قصر يحيط به روض او جنينة . انظر المقرئ ١ : ٢٢٠

(٢) المقرئ ٢ : ١١٢٥

زنانة ومصمودة وقهر الافرنج في واقعة الزلاقة الشهيرة سنة ١٠٨٦ وثبتت للمعتمد سلطته وعاد الى افريقية وما كادت تنقضي ثلاث سنوات حتى عاود الافرنج الكرة وطلب المعتمد النجدة مرة ثانية فعاد ابن تاشفين وقضى على المناوئين وهنأطابت لابن تاشفين الاندلس ورياضها الغناء وقصورها ومناها ومواردها الضافية فاستخلص الملك لنفسه ، والملك لمن غلب ، ذلك انه انتحل الحُصومة مع المعتمد واخذه أسيراً الى افريقية الى أنعمت حيث قضى نعماً وحزناً في منفاه وملك ابن تاشفين الاندلس ودام حكم المرابطين فيها نحو ستين سنة ادبل منهم بعدها الى الموحدين .

### دولة الموحدين (١١٤٧-١٢٦٩)

والموحدون طائفة أخرى من افريقية من اصحاب ابن تومرت الذي اراد ان يضع للدين عهداً جديداً فدعا نفسه بالموحد وجمع حوله الانصار واعلنت شيعته بعد ذلك الجهاد على المرابطين فغلبوهم في افريقية ثم نقلوا الحرب الى الاندلس وغلبوهم ايضاً فيها وكان الموحدون أكثر ميلاً من المرابطين الى تشجيع العلوم والاداب واكثر تمسكاً بامور الدين ودام ملكهم نحو مئة وثلاثين سنة استطاع بعدها ملوك النصارى في الاندلس قهرهم واخراجهم من الجزيرة والاستيلاء على اكثر اماراتها .

### بنو الأحمر (١٤٢٩-١٤٩٢)

واستطاع احد الامراء من بني الاحمر ان يستخلص مقاطعة غرناطة لنفسه وتمكن ابناؤه بعده ان يقفوا بوجه تيار التوسع الافرنجي مدة طالت نحو قرنين ونصف عرفت فيها غرناطة ازهى عصورها وفيها شيدت قصور الحمراء التي لا تزال ماثلة حتى اليوم . وفي سنة ١٤٩٢ اي بعد نحو ثمانية قرون من عام الفتح هاجم بني الاحمر فرديناند وايزابيلا فسقطت غرناطة آخر معقل للفاتحين وسلم ابو عبدالله آخر ملوكها مفاتيح الحمراء الى الغالبين .

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان



## بعض المميزات والظواهر في هذه الادوار

وتميّزت كل من هذه الادوار بمميزات خاصة فكان الدور الاول وهو اطولها دور السيادة العربية به نزح الى الجزيرة اكثر من نزح من العرب لاسيا اهل الشام - سورية فقد كثروا بحيث لم تحملهم عاصمة الملك قرطبة ففرقوا في المدن الاخرى كآشبيلية وغرناطة وجيان ومالقة وسموا اكثر المدن التي حلوها باسماء المدن الشامية التي تركوها . واتسم هذا الدور بالانشاء والعمران ووضع فيه اساس النهضة الادبية والغناء وظهر في آخره فن الموسحات . وتميز الدور الثاني دور ملوك الطوائف بنضوج الحركة الادبية وكثرة الشعراء والشواعر وشيوع فن الموسحات . وتميز دور المرابطين بسيطرة العنصر البربري وضعف الحركة الادبية وظهور الشعر الشعبي - الزجل - الذي نما فيما يظهر على حساب الشعر الكلاسيكي . وتميز دور الموحدن بالحلماسة الدينية ونمو الحركة الفلسفية المنبثقة عن الدين . وتميز دور بني الاحمر والجللاء في انه الدور الذي نضجت به بعض هذه الفنون التي استحدثت في الاندلس من موسحات وازجال ساعدت تقاسيمها على ان تلحن وتشييع بواسطة الغناء في الناس واتصلت بحياة العامة من سكان الجزيرة الاصليين بحيث كانت عاملاً على ظهور فن شعري غنائي جديد عند التروبادور (Troubadours) ومنهم انتشر في اوربة العربية وتميز ايضاً في انه شهد اعظم محنة نالت الفاتحين ومدنيتهم على ايدي ملوك الافرنج وزعمائهم الدينيين من الوان الاضطهاد الديني والتعذيب والقسوة التي لم تنته حتى تم الجلاء الاخير سنة ١٦٠٩ وتميز ايضاً في دواوين التفتيش التي انشأها الفرنجة لمحو كل اثر للاسلام او العرب والبحث عن الكتب العربية لحرقها او اتلافها كل هذا مقابل اللين والتساهل اللذين ابداهما الفاتحون للنصارى واليهود في الاندلس والتشجيع لنقل العلوم الاجنبية الى اللغة العربية في جميع الامصار التي فتحها العرب .

وشهدت هذه الجزيرة طيلة هذه الادوار المختلفة من المعارك كراً وقرأ ، فتحاً واستوداداً ومن القتلى والأسرى والوان المحن واللهو والاضطهاد والتساهل ما لم تشهده بقعة ما من جميع البقاع التي دخلها العرب في فتوحاتهم المختلفة . وجرى في هذه الجزيرة من الاختلاط بين الاجناس البشرية والاقوام المختلفة بواسطة الزواج والتسري ما لم يجر مثله في أي اقليم آخر فتحه العرب : فقد تحدر اليها من العرب طوائف كثيرة من مختلف القبائل والاقاليم وكان مع البعض مواليتهم من مختلف

الجنسيات في الشرق ونزل مع العرب ايضاً طوائف أخرى من البربر والسودان  
وامتزجوا جميعاً بسكان الجزيرة وما يجاورها من قوط وأسبان وصقالبة وغيرهم من  
شعوب الفرنجة . وكان الفرنج يتحدرون احياناً من مقاطعاتهم فيهاجمون المناطق  
التي يحتلها الفاتحون ويسبون من نساء العرب ويتسرون بهن كما فعل العرب والبربر  
ايام الفتح بحيث نشأ من هذا الامتزاج اجيال مهيجنة مولدة جديدة لم ينشأ مثلها قط  
في قطر آخر .

هذه لمحة كان لا بد منها لفهم الأدب الذي صدر في هذه الادوار المختلفة وقد  
آن لنا ان نعرض للأدب نفسه .

### أول أثر ادبي

ولنعد حيث بدأنا فالرواية ينسبون الى طارق ابن زياد اول اثر ادبي عرفته ارض  
الاندلس هو خطبته الشهيرة التي مطلعها ايها الناس ابن المفرّ البحر من ورائكم  
والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . و كنت اود لو كان يسمح  
الوقت بمناقشة هذا الزعم بشيء من الاسهاب فالأدلة على اضطراب هذه الرواية كثيرة  
وما كان طبيعياً لطارق البربري - على استعراجه - ان يخطب في جنده البربر بمثل  
هذا البيان العربي وبكفي ان تعلموا ان خبر احراق المراكب لم يثبت تاريخياً وان  
الجملة لم تنتقل من العدو دفعة واحدة وان مدداً وصل بعد وصول الجملة الاولى وان  
مطلع الخطبة نفسه - ايها الناس ابن المفرّ البحر من ورائكم الخ . قد نسب ايضاً الى  
ابرهة الاشرم الجبشي حين عبر البحر الاحمر لاحتلال اليمن .

وليس ما يمنع ان يكون في رجال الحملات الاولى من قرض شعراً او كتب  
نثراً ولكنه لم يصلنا من آثارهم شيء جدير بالانتباه .

ومن محاسن الصدق ان يكون عبدالرحمن الداخل الذي وطد الملك لبني  
مروان في الاندلس هو نفسه صاحب اول اثر ادبي فائق يذكّر له خطباً ورسائل  
لا تختلف في اسلوبها عن الخطب والرسائل التي الفها آخر العصر الاموي في المشرق  
ويذكر له فوق ذلك شعراً اذكر منه ما بعث به الى اخت له تخلفت بالشام يصف  
فيه شوقه اليها وحينئذ الى البلد الذي غادره مرغماً :

أيها الراكب الميمم ارضي      أقر من بعضي السلام لبعضي  
 إن جسبي كما علمت بارض      وفؤادي وما ليك به بارض  
 قدر البين بيننا فافترقنا      وطوى البين عن جفوني غمضي  
 وقضى الله بالفراق علينا      فعسى باجتاعنا سوف يقضي<sup>(١)</sup>

ولعبد الرحمن اشعار اخرى لا تختلف من حيث الاسلوب والقوة عن هذه  
 الايات التي ذكرنا وكان ابن عمه الامير عبدالملك الذي الحنا اليه سابقاً يقرض  
 الشعر ايضاً وقد روى له ابياتاً قالها في نخلة فريدة رآها في حديقة بأشبيلية فذكرته  
 بغربته ووطنه الاصيل :

يا نخل انت فريدة مثلي      في الارض نائية عن الاهل  
 نكي وهل تبكي مكمة      عجماء لم تجبل على جبلي  
 ولو انها عقلت اذن لبكت      ماء الفرات ومنبت النخل  
 لكنها حرمت واخرجني      بغضي بني العباس عن اهلي<sup>(٢)</sup>

وتلاحظون الرقة والجزالة في هذا الشعر كأنما قصد فيه ان يكون الستة للشعر  
 الاندلسي في جميع اطواره . ( وكان عبدالرحمن الداخل اول من شجع على رحلة  
 الغناء الى الاندلس<sup>(٣)</sup> )

وازداد النشاط الادبي زمن عبدالرحمن الداخل ومن عقبه من الامراء الامويين  
 واصبحت قرطبة مركز الحركة الادبية والعلمية في الاندلس واخذ الكثيرون يقدون  
 اليها من المشرق بحيث صارت اليها الرحلة في رواية الشعر وكانت تنطلق في نهضتها  
 الى بغداد وعلمائها وشعراؤها وكان المشرق قبلة الاندلس الادبية فلا تكاد تعرف  
 الكتب في المشرق او توضع حتى تطلب الى المغرب وتعم وكان للانديلسيين ولع  
 خاص بتأليف ابن قتيبة بحيث كانوا يتهمون من لم يكن بيته من تأليف هذا

(١) المقري ٢ : ٧٠٧ و ٧١٦

(٢) المقري ٢ : ٧١٨ والايات تنسب لعبدالرحمن ايضاً لأن له شعراً يماثلها في نخلة فريدة في  
 حديقة قصره بالرصافة وليس غريباً ان تكون هذه الاشعار في نخلة واحدة او قبلت في مجلس واحد  
 تم تصريف الرواة بأخبارها فنسب بعضهم الايات لعبدالملك في نخلة بأشبيلية وزعم آخرون انها لعبدالرحمن  
 في نخلة بقرطبة

(٣) المقري ٢ : ٧٥٨

الاديب شيء واخذ الاندلسيون يتحولون الى المشرق في طلب العلم والرواية ويتصلون بادباء المشرق وشعرائهم وبأخذون عنهم ثم يعودون فينشرون هذا العلم او الادب في الاندلس، وهكذا كان الادب حتى اواخر الدور الاموي وافتداً على الاندلس يتذوقه الاندلسيون ويستسيغونه ويقلدونه وكانت خطبهم ورسائلهم لا تختلف كثيراً عن خطب المشرق ورسائله اواخر العصر الاموي وصدر العصر العباسي : ولم يكن هناك جدة في اشعارهم ولا ابتكار الا ما تقتضيه طبيعة اقليمهم من وصف للرياض والبساتين والمدن الثمينة التي استحدثها ملوكهم فكان شعراء الحجرة يقلدون الوليد بن يزيد وابانواس ومدرستها وشعراء الوصف البحري وشعراء الغزل المسلم ابن الوليد وهلم جرا .

### يحيى بن الحكم

وكان من هؤلاء الشعراء من برع في التقليد بحيث كاد يجوز تقليده على المشاركة انفسهم فقد زعموا انه كان في خاصة عبد الرحمن الثاني شاعر رقيق اسمه يحيى بن الحكم كان يعهد اليه عبد الرحمن بالمهام الدبلوماسية لحذقه وادبه فينتدبه سفيراً لدى ملوك الافرنج وكان يلفت الانظار بلباقته وكياسته وجماله وقد شئب مرة بمملكة النورمان في حضرته وترجموا شعره لها فقال اعجابها<sup>(١)</sup> وغضب عليه الخليفة مرة فنفاه الى المشرق فوفد الى بغداد وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجد الناس يلهجون بذكره ولا يساوون شعر أحد بشعره فتركهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فائسى عليه ثم قال لهم من يحفظ منكم قوله :

وما رأيت الشرب اكدت سماؤهم	تابطت زقي واحسبت عنائي
ولما اتيت الحان ناديت ربه	فتاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلقة	على وجل مني ومن نظرائي
فقلت اذقيها فلما اذاقها	طرحت عليها ريطتي وردائي
وقلت اعرفني بذلة استر بها	بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفت	له غير اني ضامن بوفائي
وابت الى صحي ولم اك آيباً	وكل يفديني وحق فدائي

(١) المقرئ ١ : ٤٥١

فأعجبوا بالشعر وافرطوا في الثناء على أبي نواس فقال لهم خففوا عليكم فان  
هذا الشعر لي واتشدهم قصيدته كلها ومطلعها :

تداركت في شرب النبيذ خطائي وفارقت فيه شيمتي وحياتي  
فخجلوا وافترقوا عنه<sup>(١)</sup>

### زرياب المغني

وقد ظهر في هذه الحقبة في بغداد مغنٍ ناشئ هو زرياب وكان قد اخذ الغناء  
عن اسحاق الموصلي حتى اذا برع فيه رأى اسحاق ان يسمع الرشيد غناءه فسمعه  
واعجب به وارضى ان يعنتى بشأنه فلحقت اسحاق غيرة منه وخاف من منافسته  
وخشى على مكانته فاوعز اليه ان يترك العراق فطلب المغرب وصادف وصوله اول  
امارة عبد الرحمن الثاني سنة ٨٢٢ وسمع هذا بقدمه فارسل من تلقاه بموكب فخم  
وانزله في قصر من احسن التصور وحمل اليه جميع ما يحتاج اليه وقدمه على جميع  
المغنين واحته من دولته وندمائه بمكان<sup>(٢)</sup>

### النهضة الغنائية

لقد احدث قدوم زرياب نهضة غنائية في الاندلس دامت طويلاً وكان لها اثرها  
الكبير في الشعر الاندلسي وفي اختراع الموسيقى والزجل . وزرياب هو الذي  
زاد في الاندلس على اوتار العود وتراً خامساً وكانت اربعة قبل عهده وهو الذي  
اخترع مضراب العود من قوادم النسر وهو الذي سنّ لاهل الاندلس سنناً في  
آداب الاجتماع اخذت عنه ونسبت اليه فقد روي عنه انه علم الاندلسيين طريقة  
جديدة لتصفيف الشعر وترتيبه شاعت عنه وعرفهم الى الوان جديدة من الطعام

(١) المقرئ ١ : ٤٥٥

(٢) راجع اخبار زرياب في المقرئ ٢ : ٧٤٩ - ٧٥٤ وانظر مقدمة ابن خلدون طبعة  
المكتبة التجارية المصوّرة عن طبعة المطبعة الادبية بيروت ص ٤٢٨ ففيها ان الذي تلقاه هو الحكم  
والد عبد الرحمن وهو اقرب الى الصواب لان الرشيد توفي سنة ٨٠٩ الا اذا سلمنا مع المقرئ في  
ان زرياب قضى هذه المدة الطويلة بين وفاة الرشيد وامارة عبد الرحمن — في الجزيرة الخضراء .

كالهليون وفنون في ترتيب المائدة والآنية وارشدهم الى اتخاذ آنية الزجاج الرفيع بدلاً من آنية الذهب والفضة ونقل اليهم ازياء من اللباس وغير ذلك .

وكان لزياب ابنا وجوار وفدوا معه وحفظوا صناعته ودرب طائفة من الجوارى نقلن غناؤه الى اكثر بقاع الاندلس وكان لهذه النهضة الغنائية الموسيقية فيما بعد اثر في موسيقى الغرب ايضاً وفي شعره الغنائي . وارتقى علم الموسيقى بعد زرياب عند ظهور ابي بكر ابن باجة الغرناطي فارابي الاندلس مؤلف الاغان التي اصبح عليها الاعتماد في الغناء وقد جمع يحيى الخنجر المرسي في اوائل القرن السابع كتاباً في الاغاني الاندلسية على طريقة كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني<sup>(١)</sup>.

### الاتصال الادبي

واشدت الصلة في هذا العصر بين العرب وسكان البلاد الاصليين وكثر الاختلاط واقبل الاسبانيون على حضارة العرب يعترفون منها وعكفوا على اللغة العربية يدرسونها لاسيا بقرطبة عاصمة الملك وقد هال اسقفها الفارو ( Alvaro ) هذا الامر فكتب يشكو ان ابناء طائفته يقرأون اشعار العرب وادبهم ويدرسون آثار الفقهاء والمفكرين المسلمين لا للرد عليها ودحضها بل لكي يتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التعبير بها ثم يبدي دهشته من انه لا يجد بين جماعته من يقرأ الشروح اللاتينية على الكتب المقدسة او يدرس الاناجيل والانبياء والرسل بينما يرى الشبان يقبلون على الكتب العربية يقرأونها بحماسة وشوق وينفقون اموالهم في سبيل اقتنائها ويتباهون في ذلك . بل انه غالى فزعم انه لا يجد بين الالوف من ابناء رعيته من يستطيع ان يكتب رسالة باللاتينية المقبولة بينما يتقن الكثيرون العربية وينظمون الاشعار فيها بمهارة لا تقارنها مهارة العرب انفسهم<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من امر فالظاهر ان التساهل الذي ابداه العرب والرونيق الذي كان لحضارتهم قد مهدا السبيل لهذا الاتصال الادبي فاقبل الاندلسيون على التعلق

(١) المقري ٢ : ٧٧٨

(٢) Dozy, Spanish Islam, London 1903, ص ٢٦٨  
Nicholson, A Literary History of the Arabs, London, 1923, ص ٤١٥

بحضارة العرب الفاتحين وتعلم لغتهم بحيث كان بين الادباء في العصور الاندلسية  
الاخيرة طائفة كبيرة من هذه الطبقة المستعربة .

وفي مدة حكم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والحاجب المنصور بلغ الادب  
العربي في الاندلس مكانته العليا واخذ يستقل عن المشرق شيئاً ما واخذ الادباء  
يشعرون بشيء من النزعة الاقليمية رغم تعلقهم بادب المشاركة .

#### بعض ادباء هذه الحقبة

واهمهم ابن عبد ربه فهو يضع كتاباً جامعاً لشتى ابواب علوم العرب ويسميه العقد  
وهو المعروف اليوم بالعقد الفريد ينافس به المشاركة بفن التأليف الادبي فيقول في  
مقدمته . وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون  
الاخبار ولا جامعة لجل الآثار فجمعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني...  
وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لغربنا على قاصيته  
حظاً من المنظوم والمنثور<sup>(١)</sup> انتهى . وقد عارض ابن عبد ربه بعض شعراء المشرق  
ومن شعره هذا معارضته لقصيدة مسلم ابن الوليد صريع الغواني التي يقول فيها :

اديرا عليّ الراح لا تشربا قبلي      ولا تطلبا من عند قائلتي دحلي  
فيا حزني اني اموت صباية      ولكن علي من لا يحل له قتلي  
فديت التي صدت وقالت لترها      دعيه الثريا منه اقرب من وصلي

فقال ابن عبد ربه على رويته :

أتقتلني ظلماً وتجددني قتلي      وقد قام من عينيك لي شاهدا عدل  
اطلاب دحلي ليس بي غير شادن      بعينه سحر فاطلبوا عنده دحلي  
اغار علي قلبي فلما ائبته      اطالبه فيه ، اغار علي عقلي  
اذا جئتها صدت حياءً بوجهها      فيعجبني هجر الذّ من الوصل  
وان حكمت جارت علي بحكمها      ولكن ذاك الجور اشعى من العدل  
كتمت الهوى جهدي فجرده الاسبى      بما البكا : هذا يخطّ وذات يمي

(١) انظر كتاب ابن عبد ربه وعقده لجبرائيل جبور المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ ص ٣٦

واحبت فيها العذل جباً لذكرها فلاشيء اشهى في فؤادي من العذل  
اقول لقلبي كلما ضامه الاسبى : اذا ما ابنت العزّ فاصبر على الذل  
برايك لا راني تعرضت للهوى وامرك لا امرى وفعلك لا فعلي  
وجدت الهوى نصلاً من الموت مغمداً فجردته ثم اتكيت على النصل  
فان تك مقتولاً على غير ريبة فانت الذي عرضت نفسك للقتل<sup>(١)</sup>

وابن عبد ربه من شعراء آخر هذا الدور المعدودين وله شعر في رثاء ابن له لا  
يقول روعة عن شعر ابن الرومي بابنه<sup>(٢)</sup> وقد ذاع صيت ابن عبد ربه بالمشرق فطلب  
الصاحب ابن عباد عقده وكان يتشوق ان يرى فيه اخبار اهل المغرب فلم يجد شيئاً  
يروي غليله<sup>(٣)</sup> وسمع المتنبي بشعر ابن عبد ربه فاستنشد بعض الوافدين من الاندلس  
على المشرق شيئاً من هذا الشعر فانشده ، قالوا : فصفق المتنبي بيديه وقال : يا ابن  
عبد ربه لقد يأتيك العراق جواً .<sup>(٤)</sup>

والمهم فوق هذا في امر ابن عبد ربه ان ابن بسام مؤلف الذخيرة في محاسن  
اهل الجزيرة والصلاح الكندي مؤلف فوات الوفيات وابن خلدون المشهور ينسبون  
اليه في رواية يتناقضونها انه اول من سبق الى نظم الموشحات<sup>(٥)</sup> وليس هنا مجال  
مناقشة هذه الرواية فالظاهر ان فن الموشح قد تأخر عن زمن ابن عبد ربه قليلاً  
او لم يكن على الاقل لابن عبد ربه صاحب العقد اثر فيه وسنعود الى هذا الامر  
بعد حين .

### الامير سعيد الجودي

وكان من شعراء هذه الحقبة الامير سعيد الجودي الفارس الجواد الذي دافع  
عن ملك بني مروان في معارك كثيرة خاضها وغلب ثم ساد وعزّ بحيث كاد يطاول  
بني مروان انفسهم في هذا الملك وقد كان مستهتراً بالنساء والهوى وهام بجارية مغنية

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه المطبعة الاميرية مصر ١٢٩٣ ج ٣ : ١٧٥

(٢) ابن عبد ربه وعقده لجبرائيل جبور ١٤٤ — ١٤٥

(٣) معجم الادباء لياقوت الحموي مصر ١٩٢٤ ج ٢ : ٦٧

(٤) المقرئ ٤ : ٦٢٩

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٤



اسمها جيجان وله فيها اشعار كثيرة لا تختلف كثيراً عن شعر الحب الذي ألفه  
المشاركة وتغلب فيه الرقة والسلاسة . منه هذه المقطوعة الصغيرة وقد ذكروا انه  
قالها حيناً سمعها تغني في قصر الامير عبدالله ولم يرها :

سمعي أبي أن يكون الروح في بدني      فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن  
اعطيت جيجان روجي عن تذكرها      هذا ولم أرها يوماً ولم ترني  
فقل لجيجان يا سؤلي ويا أملي      استوصي خيراً بروح زال عن بدن  
كانني واسمها والدمع منسكب      من مقلتي راهبٌ صلى الى وثن<sup>(١)</sup>

### ابن هاني

ومنهم ابن هاني الذي نشأ بأشبيلية ثم نفي الى افريقية فالتحق بالمعز ومدحه  
فجعله شاعره وبالغ في الانعام عليه ثم سار المعز لفتح مصر ففتحها واراد ابن هاني  
اللقاء به فمات في برقة في طريقه اليه وتأسف المعز عليه وقال فيه : هذا الرجل  
كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك<sup>(٢)</sup> وقد قال فيه ابن خلكان  
انه عند المغاربة كالمتنبي عند المشاركة وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من  
متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو اشعرهم على الاطلاق وهو صاحب القصيدة  
المشهورة :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر      فقل لبني العباس قد قضى الأمر  
وقد جاوز الاسكندرية جوهر      تطالعه البشري ويقدمه النصر

وله نونية في المعز منها في وصف الخيل وكرم المعز قوله :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها      هضب ولا اليد الحزون حزون  
عرفت بساعة سبقها لا انها      علق بها يوم الرهان عيون  
واجل علم البرق فيها انها      مرت بجاحتيه وهي ظنون  
في الغيث شبه من نذاك كأنما      مسحت على الأنواء منك يمين

(١) المتبس في تاريخ رجال الاندلس لابن حيان، باريس ١٩٣٧ ص: ٢٩ و ٥٨ و ٥٩ و ١٢٣

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ، مصر ١٣١٠ ج ٢ : ٥

ومن الممتع أن نلاحظ أن المعري كان إذا سمع شعر ابن هاني يقول ما أشبهه  
الابرحى تطحن قروناً لأجل القعقة التي في الفاظه . غير أن ابن خلكان يرى أن  
تعصب المعري للمتنبي هو الذي دفعه إلى هذا القول<sup>(١)</sup>.

### أحمد ابن درّاج القسطلي

وقد عرف في هذه الحقبة الشاعر أحمد ابن درّاج القسطلي وقد شارك ابن هاني  
في لقب متنبي المغرب ولابن درّاج رسائل وفصول في النثر لا تختلف كثيراً عن  
الرسائل والفصول التي وضعت في العصر العباسي وله شعر ابلغ من نثره وقد أجرى  
الثعالبي ذكره في يتيّمته وهو صاحب الدالية المشهورة في سليمان ابن الحكم :

شهدت لك الأيام انك عيدها لك حنّ موحشها وآب بعيدها

والنونية التي مطلعها :

هنيئاً لهذا الملك روح وربحان وللدن والدنيا امان وإيمان

وله زائبة في المنصور ابن ابي عامر ينسج فيها على منوال ابي تمام في حبّ  
المغامرة واقتحام الأهوال يصف فيها وداعه لصاحبه ويذكر ابنه الصغير الذي  
خلفه وراءه بآيات لا تقل روعة عن شعر ابي تمام :

ولما تدانت للوداع وقد هفا	بصبري منها انة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى	وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيني بمرجوع الحطاب ولفظه	بموقع اهواء النفوس خبير
تبوأ بمنوع القلوب ومهدت	له أذرع محفوفة ونحور
عصيت شفيح النفس فيه وقادني	رواح بتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها	جوانح من دعر الفراق تطير <sup>(٢)</sup>

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ، مصر ١٣١٠ ج ٢ : ٥

(٢) راجع نبذاً من نثره وشعره في الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام مصر ١٩٣٩

القسم الاول المجلد الاول من ٤٣ — ٧٨ والايات المذكورة هي في ص ٦٥

وُعرف الشاعر الرمادي والنحوي المؤرخ ابن القوطية وقد كان يقرض الشعر<sup>(١)</sup> وابن شهيد الكاتب الشاعر وله رسالة سماها بالتوابع والزوابع لا تبعد من حيث الخيال والاسلوب كثيراً عن رسالة الغفران للمعري جعل له فيها سميراً من الجنّ اسماء زهير ابن نمير سار معه الى ارض الجنّ وتنقل به بين الادباء والشعراء القدماء ورواتهم فكان يطارحهم الشعر ويستمع الى اخبارهم وقد تفنن في عرض هذه الاخبار بصورة تدعو الى الاعجاب وهذه الرسالة جديرة بانتباه طلاب الادب اليوم<sup>(٢)</sup>.

### اثر الحكم في هذه النهضة الادبية:

وبلاحظ ان الحكم في مبله للأدب وتشجيعه للحركة الادبية كانت من العوامل التي ساعدت في نموّ هذه النهضة فقد كان محباً للعلوم جماعاً للكتب بحيث جمع ما لم يجمعه احد من الملوّك قبله وقد روي عن بعض من كانوا على خزانة الكتب بداره ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة وفي كل واحدة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير . وقد ذكر عن آخرين انها بلغت نحو اربع مئة الف مجلد اقاموا ستة اشهر في نقلها وقد آثر الحكم جمع الكتب على لذات الملوّك فكان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ويرسل اليهم الاموال لشراؤها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهده وبعث في كتاب الاغاني الى ابي فرج الاصبهاني بالف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة من كتابه قبل ان يخرج في العراق وجمع بداره الخذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والمجيد في التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس في زمنه خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده واصبحت قرطبة اكثر بلاد الله كتباً واصبح أهلها شديدي الاعناء باقتناء الكتب يتنافسون في ذلك ويتباهون وصار من مواضع الشهرة ان يكون لدى الطامح مكتبة في بيته يتجمل بها . روى المقرئ أن الحضرمي قال : « أتمت مرةً بقرطبة ولازمت سوق كتبها اتقرب فيه

(١) راجع بتيمة الدهر للتعالي المطبعة الحنيفة دمشق ١٣٠٢ ج ١ : ٤١١ — ٤١٢ :

(٢) راجع اخباره وشيئاً من نثره وشعره في الذخيرة القسم الاول للمجلد الاول من ص ١٦١

وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح  
 ففرحت به أشد الفرح . فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة عليّ الى  
 ان بلغ فوق حدّه فقلت له يا هذا ارني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا  
 يساوي قال : فاراني شخصاً عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له اعز الله سيدنا  
 الفقيه ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق  
 حدّه قال : فقال لي لست بفقيه ولا ادري ما فيه ولكني اتمت خزانه كتب واحتفلت  
 فيها لا تجمل بها بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رايته  
 حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه .<sup>(١)</sup> ويظهر ان كتب  
 الحكم ظلت في قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر للمدينة ونهب ما بقي منها  
 عند دخول البربر اليها واقتحامها غنوة<sup>(٢)</sup> . وكان الحكم نفسه يجمع الشعراء في بلاطه  
 ويساجلهم وله شعر فيه رقة وسلاسة اذكر على سبيل التمثيل بيتين منه في توديع  
 صاحبة له :

عجبت وقد ودعتها كيف لم امت وكيف اثنت بعد الوداع يدي معي  
 فيا مقلتي العبرا عليها اسكي دماً ويا كبدي الحراً عليها تقطعي<sup>(١)</sup>

ومع ان الحاجب المنصور اضطر في اواخر دولته ان يبيع بعض كتب الحكم  
 فقد كان في حياته يشجع الأدب وكان يستصحب معه في غزواته جماعات من  
 الكتاب والشعراء .

( للبحث صلة )

الدكتور جبرائيل جبور

الدائرة العربية ، الجامعة الاميركية

(١) المقري ١ : ٢١٨

(٢) « ١ : ١٨٢

## الادب في الادوار الاخرى

ولم تنته دولة الادب في انتهاء الدور الاول وظهور ملوك الطوائف وان تكن بلغت مجدها فقد كان هؤلاء الملوك يتنافسون كما ذكرنا في رعاية الادباء عامة والشعراء بنوع خاص . وكان اعظم مباهاتهم ان يقال العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني ( المقرئ ٢ : ٧٨٠ ) . وكان منهم من الف في الادب كالظفر ابن الاطلس فقد ذكروا له كتاباً في فنون الادب في نحو مئة مجلدة ( المقرئ ٢ : ٧٨٢ ) وكان الشعر قد اخذ يتسرب الى دور الحرير في القصور واخذت النساء من بنات الملوك والامراء والحواري على اختلاف طبقاتهن يفقهن هذا اللون من الادب ويحسن نظمه .

ولعل بني العباد هم اولى ملوك هذا الدور بانتباهنا فقد كانوا هم انفسهم شعراء وكان بلاطهم منتدى الادب في عصرهم فهذا المعتضد يجعل يوماً من ايام الاسبوع - الاثنين - للشعراء يفدون به عليه فيطارحهم الشعر ويستمع اليهم ويسبق بينهم جوائز ويخيز السابق ويثير الخصومة الادبية بينهم فيشجذ همهم للنظم . وجاء المعتضد فبهر اباه في هذا المضمار وكان بنو العباد يحبون ان يشهر عنهم هذا الميل والتشجيع للادب وقد ادى هذا الى ان اصبح بلاطهم مركز الحركة الادبية في الاندلس .  
وما يحكى عن المعتضد انه اول ما تعرف الى امراته الرميكية الشهيرة كان عن طريق الادب فقد زعموا انه ركب في النهر ومعه ابن عمار وزيره و قد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز :

صنع الريح من الماء زرد

فاطال ابن عمار الفكرة وكان على النهر غسلات فقالت امرأة منهن :

اي درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد ونظر اليها فاذا هي صورة حسنة ولم تكن ذات زوج فتزوج منها وولدت له اولاده الملوك النجباء وكان اكثرهم شعراء<sup>(١)</sup>.

(١) المقرئ ٢ : ١١٠٠ - ١١٠١

## النساء الشواعر

ولم تكن الرميكية فريدة في هذا فقد اورد المقرئ شعراً لطائفة كبيرة من الخواثر والجواري غيرها واكثرهن عرفن في هذا الدور نذكر منهن بشينة بنت المعتد ومهجة القرظية وحسانة التيسية وام الهنساء ومريم بنت يعقوب الانصارية واسماء العامرية والعبادية جارية المعتد ، وسعدونة بنت عظام الحميري وام العلاء بنت يوسف الحجازية وامه العزيز وام الكرام بنت الامير المعتصم ابن صفاح وكانت تنظم الموشحات وجاريتها المنى وتزهون الغرناطية وحفصة بنت حمدون وحمدة بنت زياد المؤدب والولادة بنت المستكفي ولا يتسع المقام للتشيل على اشعارهن جميعاً ولهذا فاننا نكتفي بذكر شيء من شعر حمدة وولادة

### حمدة

اما حمدة فقد لقبت خنساء المغرب على ان شعرها ليس في الزنا. بل في الغزل ومنه :

ولما أبى الواشون الآ افتراقنا      وما لهم عندي وعندك من نار  
وشنوا على أسماعنا كل غارة      وقل حماقي عند ذاك وانصاري  
غزوتهم من مقتلتيك وادمعي      ومن نفسي بالسيف السيل والنار

والى حمدة ينسب الاندلسيون هذه الابيات الجميلة المنسوبة في المشرق للشاعر المنازي :

وقانا لفحة الرمضاء واد      سقاه مضاعف النيث العميم  
حللنا دوحه فحننا علينا      حنن المرضعات على الفطيم  
وارشفتنا على ظمياً زلالاً      الذ من المدامة للنديم  
يصد الشمس ائى واجهتنا      فيحجبها ويأذن للنسيم

بروع حصاه حالية العذارى فتمس جانب العقد النظم  
 قال ابو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب عن حمدة « وقد تلبس بعضهم  
 بشعارها وادعى غير هذا من اشعارها فركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي ابيات  
 لم يجلها غير لسانها ولم يرقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا  
 - وهي الاندلس - اثبتوها لها قبل ان يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف  
 بلفظة الموجود . » (١)

### ولادة

اما ولادة بنت المستكفي فاجبارها مع ابي الوليد ابن زيدون مشهورة يتناقلها  
 الادباء وقد كانت في زمنها واحدة اقربانها يتهالك افراد الشعراء . والكتاب على  
 حلاوة عشرتها . وكان مجلسها في قرطبة متدي لاحرار مصر (٢) واذا صح ما روي  
 عنها وعن غيرها من بنات الملوك والامراء من اخبار اللهو والعبث ومجالس الانس  
 فان الحرية التي كانت تتمتع بها المرأة العربية تفوق ما الفه المشرق وقد ذكر ابن  
 بسام في ذخيرته ان ولادة على علو نصابها وكرم انسابها وطهارة اثارها اطرحت  
 التحصيل واوجدت الى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها . كتبت فيما  
 زعموا على احد عاتقي ثوبها مطرزا بالذهب .

انا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه تبيها

وكتبت عنى الاخر :

وامكن عاشقي من صحن خدي واعطي قبلي من يشتهيها

ثم قال هكذا وجدت الخبر وبرا الى الله من عهدة ناقلية والى الادب من غلط

(١) القري ٢ : ١١٤٢ - ١١٤٣

(٢) انظر الذخيرة القسم الاول المعاد الاول ص ٣٧٦ - ٣٨٧ والقري ٢ : ١٠٩٧ - ١١٠٠

النقل ان كان وقع فيه <sup>(١)</sup> كتاب رتبة رتبة قباله والص ٢٢٢  
ولم تكن ولادة فريدة في الحرية والجرأة في التعبير عن عواطف الحب او اللهو  
بل كان يشاركها في هذه الظاهرة كثيرات من حرائر ذلك العصر . وقد ذكر  
الرواة لخصه بنت الحاج من اشرف غرناطة شعراً لا يقل مجاهرة عن شعر ولادة  
قالت :

ثنائي على تلك الثنايا لانني اقول على علم وانطق عن خبر  
وانصفها لا اكذب الله انني رشفت بهاريقاً أرق من الحمر <sup>(٢)</sup>

### شعراء هذه الحقبة وادباؤها

#### ابن زيدون

واما شعراء هذه الحقبة وادباؤها فعددهم يكاد لا يحصر وقد ذكر منهم ابن  
بسام في الذخيرة ما يقارب المتين مقتصراً على الامراء والوزراء والرؤساء. ولعل اشهرهم  
ابن زيدون وقد انشأته دولة بني جهور وكان من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في  
ايام الجماعة والفتنة فلما استقل بنو جهور في الحكم جعلوه لمهارته في الكتابة سفيراً  
بينهم وبين رؤساء الاندلس وكان ذكياً حاضراً الجنان زعموا انه قام مرة على جنازة  
بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمع يجيب رجلاً منهم بما اجاب به  
آخر ورسالته في ابن عبدوس منافسه في حب ولادة اشهر من ان تعرف وقد شرحها غير  
واحد من ادباء المشاركة كالجمال ابن نباتة والصفدي وغيرهما وفيها من التلميحات  
والنواذر الطريفة شي . كثير واعلمه اشهر شعراء الاندلس وقد لقب ببحتري المغرب  
لديباجة شعره ومن شعرة المشهور في ولادة وقد كانا في مجلس أنس ثم افترقا :

(١) الذخيرة التمر الاول المجلد الاول ص ٣٧٦

(٢) القري ٢ : ١٠٧٩



ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك  
 يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطى اذ شيعك  
 يا اخا البدر سناء وسنا حفظ الله زماناً اطلعك  
 ان يطل بعدك ليلى فلکم بت اشكو قصر الليل معك  
 ولعل اجمل قصائده النونية المروفة وقد عارضها كثيرون من ادباء المغرب  
 والمشرق ومنهم من ضمن اعجازها في الموشحات قال :

أضحى الثنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
 بنتم وبننا فما ابتلت جوارحننا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا  
 تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا  
 حالت لبيّنكم ايامنا فعدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا  
 اذ جانب العيش طالق من تألفنا ومورد اللهو صافٍ من تصافينا  
 لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ان طال ، ما غير النأي المحبين  
 والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا  
 ولا استعدنا خليلاً عنك يشغلنا ولا استفدنا جيباً عنك يسلينا  
 يا ساري البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا  
 ويانسيم الصبا بلغ تحيّننا من لوعلى البعد حيّ كان يميننا  
 ياروضة طالما اجنت لواحظنا ورداً جلاه الصبا غصاً ونسرينا  
 ويا حياة تملينا بزهرتها منى ضروباً ولذات افانينا  
 لسنا نسيمك اجلالاً وتكرمة وقدرك المعلى عن ذاك يغنيننا  
 يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها والكوثر العذب زقوماً وغسلينا  
 كاننا لم نبت والوصل ثالثنا والسعد قد غص من اجفان واشينا  
 نأسى عليك اذا حثت مشعّمة فينا الشمول وغناانا مغنيننا  
 لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا  
 دومي على الوصل ما دعنا - محافظة فالحر من دان انصافاً كما دينا

عليك مني سلام الله ما بقيت صباية منك تخفيها فتخفيها (١)

### المعتمد ابن عباد

وكان المعتمد ابن عباد من الملوك الشعراء. وقد كان ابوه قبله اديباً واستطاع بكرمه وبأسه وأدبه ان يصبح اكبر ملوك الطوائف شأناً واكثرهم شهرة في عصره في المغرب والمشرق وهو زوج الريمكية التي اشرنا اليها سابقاً وكان ان نكب آخر حياته بملكه ونفسه وابنائهم ونفي الى اثمات في افريقية وسجن وقيد بالقيود بعد مجده وعزّه في قصره الزاهي باشبيلية فاخذ يتسلى عن حظه بنظم الاشعار في الشكوى من جور الزمان بعد ان كانت اشعاره تدور على اللهو وبجاس الانس وفي هذه الاشعار الاخيرة لون خاص من الادب ميز شعر المعتمد فيه رقة وفيه عاطفة صادقة تشعّر بالم صاحبها عند قراءة كل قصيدة منه هي اشعار عزيز ذل ، منها قصيدته :

انها اسرك قد طبقت آفاقا بل قد عمّن جهات الارض اقلاقا  
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم حتى اتت شرقها تنعك اشواقا  
فاحرق الفجع اكباداً وافسدة واغرق الدمع آماقاً واحداقاً  
قلت الحطوب اذ لتي طوارقها وكان غربي الى الاعداء طرّاقا  
متى رايت صروف الدهر تاركة اذا انهرت لذوي الاخطار ارماقا  
وله الثانية التي مطلعها :

انفض يديك من الدنيا وساكنها فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا  
ومنها :

دروه ليثاً فضاخوا منه عادية عذرتهم فلعدو الليث عادات  
لو كان يفرج عنه بعض آونة قامت بدعوته حتى الجمادات

وله لامية قالها حين مرّ به وهو في سجنه سرب من القطا فغبطها على حريتها  
وحوية افراخها في مجاثمها بينا شتت ابناءؤه وسبيت بناته وقضي عليه ان  
يكبل بالحديد :

(١) النخبة الشعر ١ المجلد ١ : ٣٠٩ - ٣١١ وانظر قتلاند العقيان للفتح ابن خاقان باريس ١٣٧٧ ص ٩٢

بكيث على سرب القطا اذ مررن بي  
ولا تك والله المعيد حسادة  
فاسرح لاشملي صديع ولا الحشا  
هنيئاً لها اذ لم يفرق جميعها  
واذ لم تبت مثلي تطير قلوبها  
وما ذاك مما يعتربه وانما  
لنفسني ان التقى الحمام تشوف  
الا عزم الله القطا في فراخها  
سوارح لا سجن يعوق ولا كبل  
ولكن حنيناً ان شكلي لها شكل  
وجيع ولا عينا يبيكيها شكل  
ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل  
اذا اهتز باب السجن او صلصل القفل  
وصفت التي في جبلة الخلق من قبل  
سواي يحب العيش في ساقه كبل  
فان فراخي خانها الماء والظل

وقد كان لأسره وعذابه بسجن اغتات أثر في ذلك العصر حرّك الشعراء ان  
يقولوا الشعر تلمأ معه وحسرة عليه حتى اذا مات تفجّر الشعر رثاء له من كل صوب  
وحذب فهذا الوزير ابن عبدون يقول فيه رائيته الشهيرة التي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالآثر فما البكا على الاشباح والصور

وهذا شاعره ابو بحر ابن عبد الصمد يقول على قبره بعد ان طاف به وخر  
على ترابه ولثمه :

ملك الملوك اسامع فانادي  
لما خلت منك القصور فلم تكن  
ام قد عدتك عن السماع عوادي  
فيها كما قد كنت في الاعياد  
وتخذت قبرك موضع الانشاد  
قبلت من هذا الثرى لك خاضعاً

وهذا ابن البانة يقول ذاليتّه الشهيرة :

تبكي السماء بزمن رائح غاد  
على الجبال التي هدت قواعدها  
عريسة دخلتها النائبات على  
وكعبة كانت الآمال تخدّمها  
ياضيف اقفر باب المكرمات فخذ  
على البهايل من ابناء عبّاد  
وكانت الارض منها ذات اوتاد  
أساود لهم فيها وآساد  
فاليوم لا عاكف فيها ولا باد  
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

خفّ القطين وجفّ الزرع بالوادي  
تخال في عدد منهم واعداد  
أصبحت في لهوات الضيغم العادي  
وكل شي، يميقات وميعاد  
وقد خلت قبل حص ارض بغداد  
سيقوا على نسق في جبل مقتاد  
فويق دعم لتلك الخيل انداد  
فصيغ منهم اغلال لاجياد  
في المنشئات كاموات بالحاد  
من لؤلؤ طافيات فوق ازباد  
ومزقت اوجه تمزيق ابراد  
وصارخ من مفداة ومن فاد  
كانها ابل يحدو بها الحادي  
تلك القطائع من قطعات اكباد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه  
وانت يا فارس الخيل التي جعلت  
ألق السلاح وخلّ المشرفي فقد  
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة  
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا  
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا  
وانزلوا عن متون الشهب واحتلوا  
وعيث في كل طوق من دروعهم  
نسيت الا غداة النهر كونهم  
والناس قد ملأوا البرين واعتبروا  
حط القناع فلم تستر مخدرة  
حان الوداع فضجت كل صارخة  
سارت سفائنهم والنوح يصحبها  
كم سال في الماء من دمع وكم حملت

ولا يتسع هذا البحث الموجز لاجبار جميع الشعراء الذين عاصروا المعتمد وقالوا  
فيه الشعر فهم كثر ولترجع اخبارهم في مظانها<sup>(١)</sup>

ينقل الى  
صفحة ما على  
ص ٢٦

### فن الموشح

وقد تفتحت في اوائل هذا العصر كرائم الشعر الموشح وهو فن جديد في الشعر  
ابتدعه الاندلسيون وقد اشرفنا قبلاً الى خطأ ابن بسام والكنبي وابن خلدون ومن  
تابعهم بشأن اختراع هذا الفن ونسبته الى ابن عبد ربه صاحب العقد وايس غريباً ان  
يكون الشخص المقصود هو احد حفداء صاحب العقد لا صاحب العقد نفسه<sup>(٢)</sup> ويهمننا  
ان نلاحظ هنا ان الموشح قد نشأ في اواخر الدور الاول وان صاحب الفضل الاكبر  
في تنظيمه واشهاره راجع الى عبادة ابن ماء السماء المتوفى في اوائل القرن الحادي

(١) القرني ٢ : ١١٠٣ - ١١١٢

(٢) راجع بحثنا عن الموشح في ابن عبد ربه وعقده ١٢٧ - ١٥٣

عشر وهو صاحب الموشح الذي يقول فيه :

من ولي في امة امراً ولم يعدل  
يعزل الا لحاظ الرشا الاكحل

جرت في حكمك في قتلي يا مسرف

فانصف فسوجب ان ينصف المنصف

وارأف فان هذا الشوق لا يرأف

علل قلبي بذاك البارد السلسل  
ينجلي ما بفوادي من جوى مشعل<sup>(١)</sup>

ويظهر ان الموشحات في اول عهدها كانت تحتوي على بعض اللفظ العامي او الاعجمي ينظم في شطرين يسميان المركز ثم توضع عليها الموشحة دون تضمين فيها ولا اغصان ثم كان الطور الثاني حين استعمل التضمين في المراكز حتى نشأ عبادة المذكور فاحدث التضمير<sup>(٢)</sup> وذلك انه اعتمد مواضع الوقف في الاغصان وضمنها كما اعتمدوا من قبله مواضع الوقف في المركز وضمنوها وكان في الغالب موضوعها الغزل وكانت تقصد للغناء فهي من هذه الناحية اثر من آثار النهضة الغنائية التي المعنا اليها ثم عمت واستظرفها الناس وطرقت فيها شتى المواضيع .

قال ابن خلدون : « وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ فيه التتميق الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه اصماتاً اصماتاً واغصاناً اغصاناً يكثرون من اعاريضها المختلفة ويسون المتعدد منها بيتاً واحداً . . . . . وتجاروا في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه »<sup>(٣)</sup> ولقد شعر الاندلسيون بتفوقهم في هذا الفن وزعموا انه الغاية التي وصل الى الشعر قال ابن دحية : « الموشحات هي زبدة الشعر ونسبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي اغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق »<sup>(٤)</sup>

(١) فوات الوفيات للإصلاح الكتبي مصر ١ ص ٢٥٥  
(٢) راجع الدخيرة الترس الاول المجلد الثاني ص ٢ - ٣ وقد وضع الناشر سهاً منهم كلمة التضمين بدل التضمير فلينتبه الى هذا .  
(٣) مقدمة ابن خلدون ٥٨٣ - ٥٨٤  
(٤) القرني ١ : ٦٤٧

ولعل اشهر الوشاحين زمن الطوائف عبادة القزاز شاعر الامير المعتمد ابن صمادح صاحب المرية وقد زعموا انه لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وهو صاحب الموشح الذي مطلعُه .

بدر تم شمس ضحى غصن نقا مسك شم  
ما اتم ما اوضعا ما اورقا ما اتم  
لا جرم من لها قد عشقا قد حرم

وليلاحظ هذا التضمين في المركز فهو اشبه بالطي والنشر كأن تقول بدر تم ما اتمه ، وشمس ضحى ما اوضعا وغصن نقا ما اورقه ومسك شم ما اتمه . وكان في طليطلة ابن ارفع شاعر المأمون ابن ذي النون ولكنه لا يجاري عبادة . ثم اتى دور المرابطين وكان فيه من الوشاحين طائفة اشهرهم الاعمى الطليطلي صاحب :

ضاحك عن جمان سافر عن در  
ضاق عنه الزمان وحواه صدري (١)

وابن بقي صاحب :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت ادمعي (٢)

وابو بكر الابيض صاحب :

ما لذآ لي شرب راح على رياض الاقحاح  
لولا هضم الوشاح اذا اسأ في الصباح  
او في الاصيل اضحى يقول ما للشمول لطمت خدي  
وللشمال هبت فمالي غصن اعتدال ضمه بردي (٣)

والحكيم ابو بكر ابن ماجه وكان ينظم الموشحات ويضع التلاحين ويروى عنه انه حضر مجلس سيده ابن تيفلاويت صاحب سر قسطه فالقى عليه بعض موشحته في لحن

(١) المقرئ ٢ : ٨٨٨ ومقدمة ابن خلدون ٥٨٦

(٢) المقرئ ٢ : ١١١٥

(٣) مقدمة ابن خلدون ٥٨٥

خاص « جرر الذيل ايما جر » فطرب المدوح لذلك وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير العلا أبي بكر

فلما طرقت ذلك التلحين سمع ابن تيفاويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن ما بدأت وما ختمت وحلف الايمان المغلظة ان لا يمشي ابن ماجه لداره الا على ذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل بان جعل ذهباً في نعله ومشي عليه (1) وكان من الوشاحين زمن الموحدين محمد بن ابي الفضل ابن شرف وابو اسحاق الدويني وابن هرديوس صاحب موشح «يا ليلة الوصل والسعود» وابن مؤهل الذي له :

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب

وانما العيد في التلاقي مع الحبيب (2)

وابو الحسن سهل ابن مالك بغرناطة وهو صاحب :

كحل الدجى يجري من مقلة الفجر على الصباح

ومعصم النهر في حلال خضر من البطاح

ومن اشهر الوشاحين في هذا الدور ابو بكر ابن زهر وكان من بيت علم وأدب وكان يزعم ان احسن موشح له هذا الذي يقول فيه :

ما للعول من سكره لا يفيق ياله سكران

هل تستعاد ايامنا بالخليج وليالينا

اذ يستفاد من النسيم الاريح مسك دارينا

واذ يكاد حسن المكان البهيج أن يجيئنا

نهر أظله دوح عليه أنيق مؤنق فينان

والماء يجري وعاتم وغريق من جنى الريحان (3)

ثم جاء بعدهم ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته من بعدها وله الموشح المشهور

(1) القرني ٤ : ٦٠٧ - ٦٠٨ - ومقدمة ابن خلدون ٥٨٤

(2) مقدمة ابن خلدون ٥٨٥

(3) راجع القرني ٤ : ٦٠٨ وراجع اخباره في القرني ١ : ٤٤٦ - ٤٤٨

الذي عارضه كثير من الوشاحين بعده :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى      قلب صبّ حله عن مكس  
فهو في حرّ وخفق مثامها      لعبت ربيع الصبا بالقبس

(\*\*\* )

يا بدوراً أطلعت يوم النوى      غوراً تسلك في نهج الغرر  
ما قلبي في الهوى ذنب سوى      منكم الحسن ومن عيني النظر  
اجتني اللذات مكاوم الجوى      والتذاذي من حبيبي بالفكر  
كلما اشكوه وجدأ بما      كالربي بالعارض المنبجس  
اذ يقيم القطر فيه ماتماً      وهي من بهجتها في عرس

### الزجل

ولما شاع فن التوشيح ومالت العامة اليه لسلاسته وتنميق كلامه وتصريح اجزائه في وقع موسيقي عذب نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقتهم بلغة عامة من غير ان يلتزموا اعرابا فاستحدثوا بهذا فناً جديداً سموه بالزجل وقد ظل لهدين الفنين من يرعاها حتى الدور الاخير

### ابو بكر ابن قزمان

كان اول من ابدع واشتهر في الطريقة الزجلية ابو بكر ابن قزمان من شعراء عهد المرابطين وهو عند الاندلسيين امام الزجالين على الاطلاق وقد اهتم المستشرقون بابن قزمان وازجاله وازجال زملائه اللاحقين للصلة التي بين هذه الازجال وبين شعر التروبادور وقد اهملتها الكتب العربية لبعدها عن الفصحى وصعوبة قرائتها غير ان العامة كانت تروياها في المغرب وفي المشرق وقد ابقى التاريخ لحسن الحظ على كثير من هذه المقطوعات الزجلية وعلى ديوان زجلي لابن قزمان يوجد منه نسخة فريدة ولدينا عنها نسخة مصورة في مكتبتنا اذكر فيما يلي مقطوعة من زجل منها :

(1) القرني ٤ : ٦٣٤-٦٣٥



ماعي انا معشوق شاط ايض اشقر  
ريت القمر بالليل هو يلعب اكثر

(\*\*\*)

غاب عني الغدار وشم جانبي  
ان يفتقد حالي وان يرانسي  
اطبق على فيمي احرص لساني  
وكان نجال مبرد فيما نقدر

(\*\*\*)

والعشق ما احلاه وما امره  
وما ازعج المجران وما احصره  
وما احزن العاشق وما اسره  
والعاشق المسكين كي ذنب يهجر

\*\*\*

اي حظ لو عندي لس كان دريتو  
هو ما فتحت الباب حتى لتيتو  
كبرت انا يا اخي وقت ان رأيتو  
من رأى هلال العيد لا بد يكبر (١)

ويجب ان يقرأ على الطريقة البدوية ولا اظنها بعيدة عن اللهجة المراكشية العربية التي كانت فاشية ذلك الزمان ولو قرى. على غير هذه الطريقة لضاعمت موسيقاه وبعد عن الاصل الذي وضع فيه

ثم جاء بعد ابن قزمان زجال اسمه عبد الله ابن الحجاج ويعرف بمدغليس وكان يلتفت الى الصناعة في اللفظ في ازجاله فكان اهل الاندلس يقولون ابن قزمان في

(١) ديوان ابن قزمان - الصورة الفوتوغرافية عن نسخة برلين الخلفية ورقة ١٣ من الزجل السادس عشر - ولقد تصرفت قليلاً في كتابة الضمانر لتسهيل قراءة الزجل. فالنسخة الاصلية تستعير عن ضمير الغائب بضممة مثلاً لتيت بدل لتيتو او لتيته الخ

في الرجالين بمنزلة المتنبى في الشعراء ومدغليس بمنزلة ابي تمام بالنظر الى ان ابن قزمان مطبوع يلتفت الى المعاني ومدغليس يؤثر الصناعة واللفظ وكان مدغليس كاتب قزمان شاعراً يحسن النظم الفصيح ولكنه لما رأى نفسه في الزجل انجب اقتصر عليه<sup>(١)</sup> وله يصف رذاذاً من المطر تنعكس عليه اشعة الشمس فنكسه لوناً مذهباً ثم يشرب النبات من هذا الرذاذ فيسكر وترقص الغصون وتطرب وتحاول وهي تتأيل ان تصل الى الجالسين في ظلها فتستحي وتعود .

ورذاذ دق يهزل	وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض	وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر	والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي الينا	ثم تستحي وترجع <sup>(٢)</sup>

وظل هذين الفنين الزجل والموشح رونقها حتى عصور الاندلس الاخيرة وختم دورهما بالاندلس في آخر عصر بني الاحمر بشيخ الزجالين والوشاحين لسان الدين الخطيب وتلميذه ابن زمرك وكان لسان الدين رفيق ابن خلدون وزميله وهو صاحب الموشح الذي عارض به موشح ابن سهل « هل درى ظني الحمى ان قد حمى » قال :

جادك الغيث اذا الغيث همي يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلصة المختلس

\* \* \*

اذ يقود الدهر اشبات المنى	ينقل الخطو على ما ترسم
زُمرأ بين فرادى وننى	مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا	فتغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء الدبا	كيف يروي مالك عن انس
فكساه الحسن ثوباً معلماً	يزدهي منه بابهي ملبس

(١) للثري ٢ : ٨٧٨

(٢) للثري ٢ : ٦١٢

في ليل كتمت سر الهوى      بالدجى لولا شمس الغرر  
 مال نجم الكاس فيه وهوى      مستقيم السير سعد الاثر  
 وطراً ما فيه من عيب سوى      انه مر كلسج البصر  
 حين لذّ الانس شيئاً او كما      هجم الصبح هجوم الحرس  
 غارت الشهب بنا او ربما      أثرت فينا عيون النرجس

\* \* \*

اي شيء لامرى. قد خلاصا      فيكون الروض قد مكن فيه  
 تنبّ الازهار منه الفرصا      امنت من مكروه ما تتقيه  
 فاذا الماء تناجى والحصا      وخلا كل خليل بأخيه  
 تبصر الورد غيراً برما      يكسي من غيظه ما يكسي  
 وترى الآس ليباً فيما      يسرق السمع باذني فرس

\* \* \*

ما لقلبي كلما هبت صبا      عاده عيد من الشوق جديد  
 كان في اللوح له مكتبا      قوله ان عذابي لشديد  
 جلب المهم له والوصبا      فهو للاشجان في جهد جيد  
 لاج في اضلعي قد اضرما      فهي نار في هشيم اليبس  
 لم يدع في مهجتي الا ذما      كبقاء الصبح بعد الغلس<sup>(١)</sup>

### شعر الطبيعة

بقي شيء واحد أكثر فيه الاندلسيون وتفنونوا في نظمه ذلك هو شعرهم في الطبيعة ووصفهم لما حبتهم به هذه الطبيعة من جمال اقليم واعتدال مناخ ورقة هوا. وكثرة جنائن فيها من ضروب الازهار والرياحين ما تشاء. كأن الاندلس جنة الله في ارضه ولقد شعر بهذا احد شعراء الطبيعة عندهم في عصر الطوائف ولعله اعظم شعراء

(١) الموشح طويل وقد اقتصرنا منه على بعض ادوار راجع مقدمة ابن خلدون ٥٨٦ - ٥٨٧  
 والمقري ٦: ٦٠٩ - ٦١٠

## مميزات الادب الاندلسي

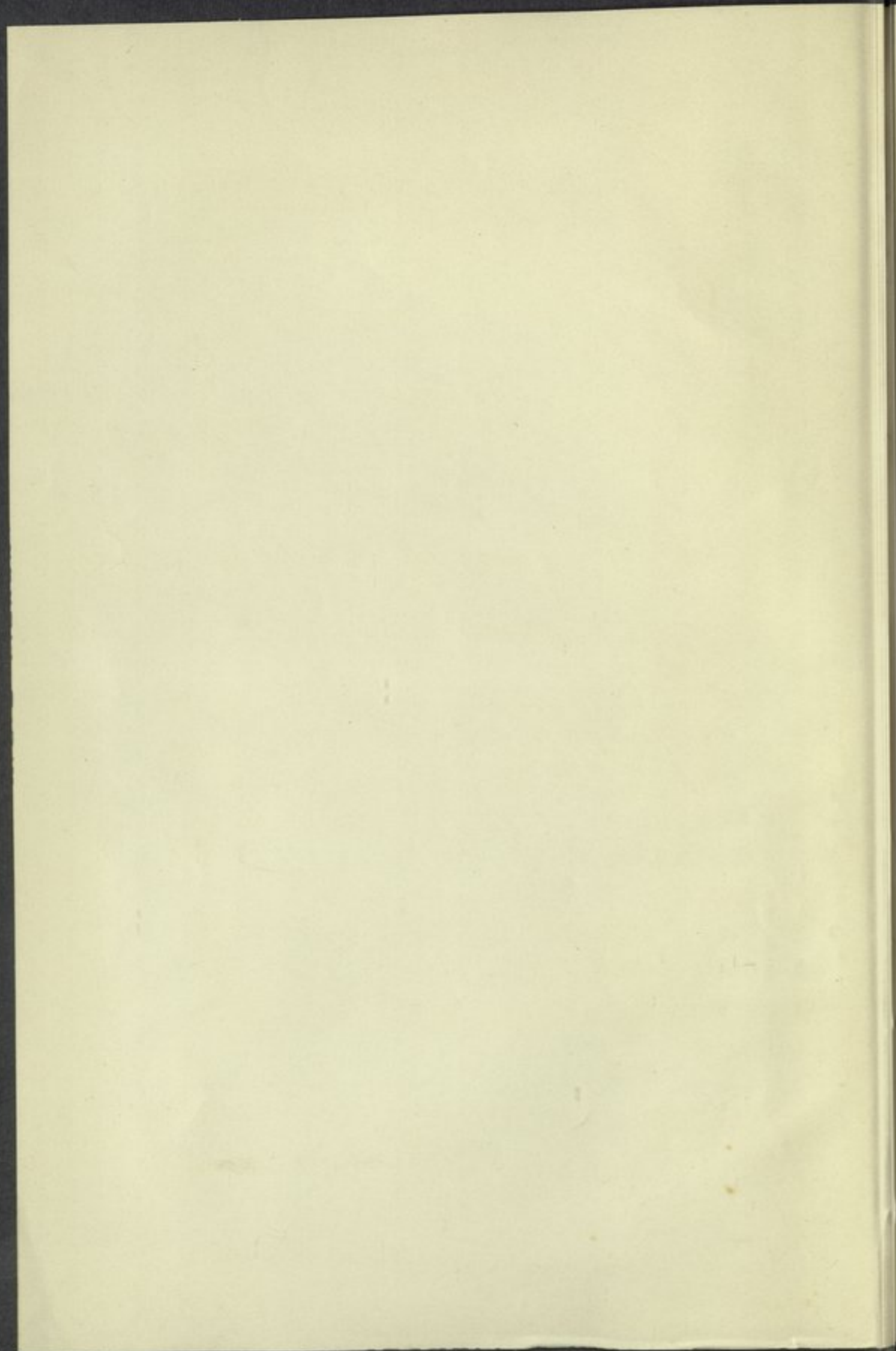
وهكذا فان مميزات الادب الاندلسي شمرأ كان او نثراً لا تختلف عن مميزات الادب الشرقي الا بشيء بسيط هو الرقة والجزالة هذه السنة التي سنها له في اول عهد الاندلس بالادب عبد الرحمن الداخل ولعل هذا هو الذي يسر للعبارة الاندلسية ان تساهم في الحياة الادبية الى حد ما وممكن الملوك والوزراء والامراء من تذوق الادب واستساغته والاشترك فيه ومع ان الشعر منه لم يكن في مرتبة بعض شعر المشرق من حيث المعاني والصور الفكرية فانه في الغالب ارق منه واجزل ولقد شعر الاندلسيون بهذه الظاهرة في ادبهم حين قال ابن بسلام: ذهب كلامهم بين رقة الهواء وجزالة الصخرة الصماء او حين قال صاحبهم عبد الجليل ابن وهبون يصف شعره.

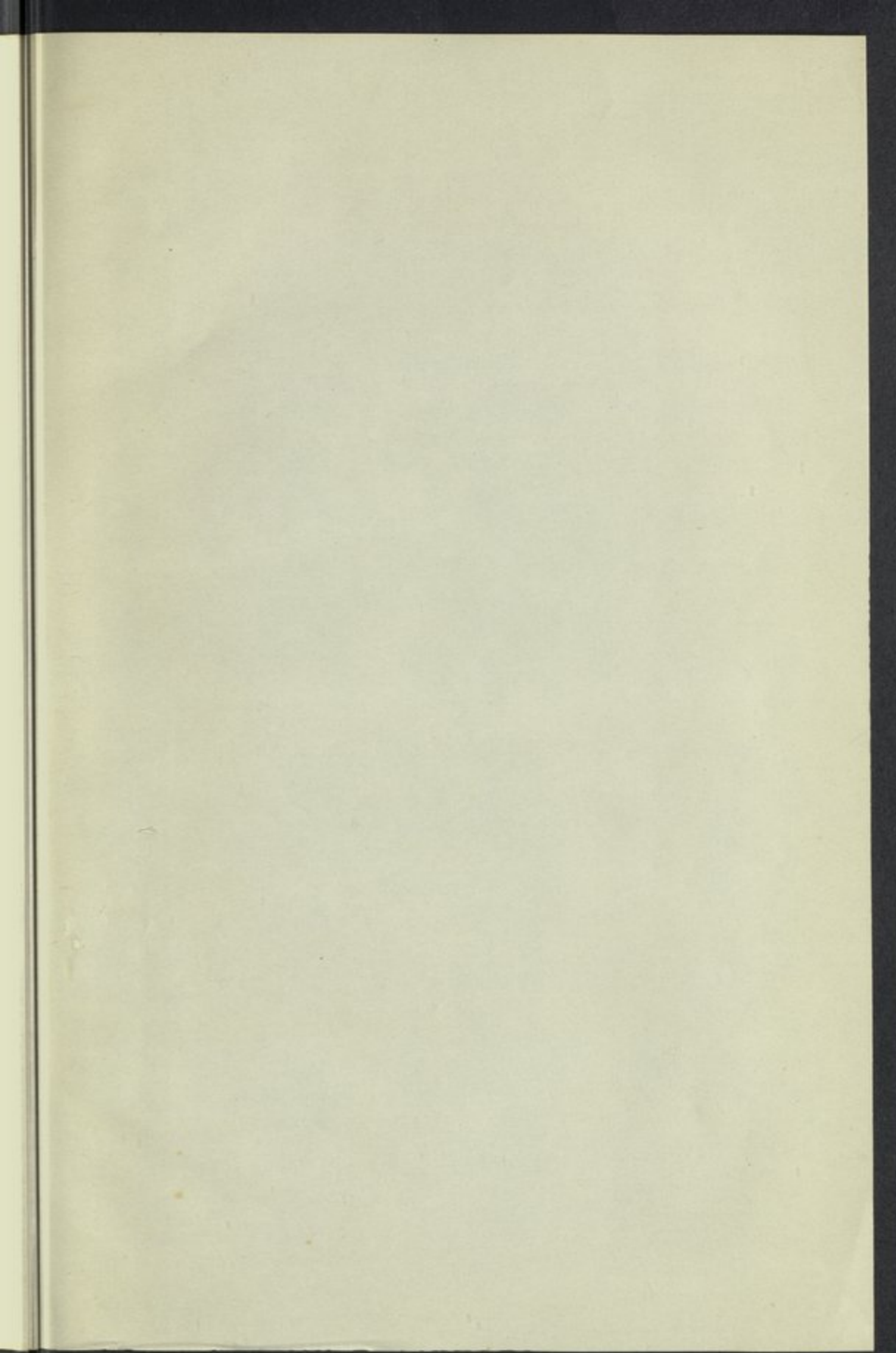
رقيق كما غنت حمامة ايكة وجزل كما شق الفضا عقاب<sup>(1)</sup>

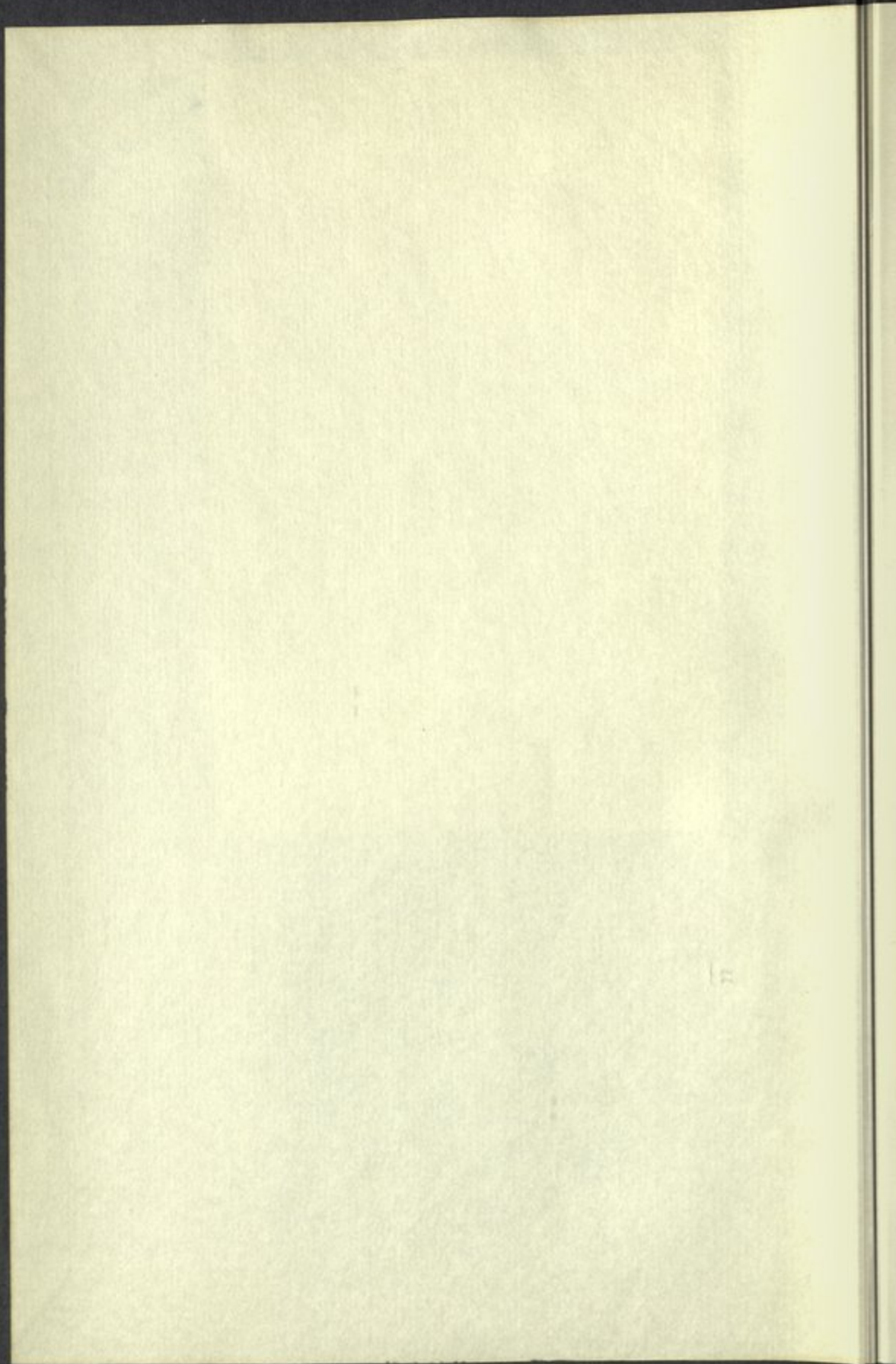
جبرائيل جبور

الجامعة الامبريكية : بيروت

(1) الذخيرة القسرة الاول المجلد الاول ص 3











A. U. B. LIBRARY

CA:AUB:892.709:J11fa:c.1

جبور، جبرائيل سليمان  
في الادب الاندلسي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000096

CA:AUB:892.709:J11fa

• جبور

• في الادب الاندلسي

CA  
AUB  
892.709  
J11fa

